قيمة المعرفة عند الشباب الجزائري ومجالات استخدامهم لتكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة

مخبر المؤسسة الصناعية والمجتمع في الجزائر.
أ.بلحاج معمر، د.إدريسي عامر
قسم العلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان. علم الاجتماع جامعة تلمسان
E-mail: idrici.ko@gmail.com E-mail:maamarbelhadj@gmail.com

ملخص:

تهتم هذه الدراسة بفئة الشباب باعتبارهم فئة اجتماعية هامة في الجزائر، هذه الفئة التي يمكن أن تصنع الفارق بين مجتمع الحاضر ومجتمع المستقبل إذا ما وظفت طاقاتهم ومهاراتهم ومعارفهم بكفاية وفعالية في أنشطة الحياة.

وفي الوقت الذي أصبحت الوسائط الرقمية للإعلام والاتصال الحديثة تتيح لمستخدميها تداول المعرفة العلمية والتقنية بأقل التكاليف وتوفر عليهم الجهد والوقت، وأصبحت المعرفة تكتسي قيمة اقتصادية تفوق في أهميتها قيمة الأصول المادية الكلاسيكية، فقد تحولت اقتصادات العالم نحو اقتصاد المعرفة والاستثمار في المورد البشري الذي يحمل المعرفة وله القدرة على توليدها.

وفقا لهذا الطرح، فإن وسائل الإعلام والاتصال الحديثة ينبغي أن تلعب دوراً هاما في تقدم المجتمع الجزائري، لكن الواقع يثبت عكس ذلك تماماً، فالملاحظ أن مجالات استخدامها عند فئة الشباب بعيدة كل البعد عن مجال اكتساب المعرفة والاستثمار فيها، ومراكز اهتمام جل مستخدميها تنحصر ضمن مواقع شبكات التواصل الاجتماعية التي تقتصر فقط على مواضيع تساهم في توطين حالة التفكك القيمي والجدل الأيديولوجي، وهي الآن تؤدي وظيفة نشر القيم المتصارعة بين أطياف المجتمع، و تعمل على إعادة إنتاج حالة التخلف والركود والاضطراب الذي كان يعيشه المجتمع من قبل.

Abstract:

This study is concerned with the youth category as they are an important social group in Algeria, this group that can make the difference between present and future society if they use their energies, skills and knowledge sufficiently and effectively in life activities.

At a time when the digital media of modern media and communication has allowed its users to exchange scientific and technical knowledge at the lowest costs and save them effort and time, and knowledge has become an economic value that exceeds the importance of the value of classical material assets, the economies of the world have turned towards a knowledge economy and investment in the human resource that carries knowledge and has The ability to generate it.

According to this proposition, the modern media and communication should play an important role in the progress of Algerian society, but the reality proves quite the opposite. It is noticeable that the fields of their use among the youth are far from the field of acquiring knowledge and investing in them, and the centers of interest for most of their users are confined to sites Social media networks that are limited only to topics that contribute to the localization of the state of values disintegration and ideological debate, and now they perform the function of spreadingconflicting values among the spectra of society, and work to reproduce the state of underdevelopment, stagnation and turmoil that society was previously experiencing.

مقدمة:

بالرغم من تعاقب السياسات والمخططات التنموية في الجزائر منذ استقلالها سنة 1962م إلاّ أنه لا تزال الفجوة تزداد اتساعاً بين التغيير المرغوب فيه والواقع الذي يعيشه المجتمع، فكل المؤشرات تدل على حالة التأخر والإخفاق وغياب شروط النهضة المعرفية، فتفاقم الأوضاع الاجتماعية وازدياد التبعية الاقتصادية والتأخر العلمي والتكنولوجي وغيرها من مظاهر التخلف، تتطلب تعميق النظر من من زاوية جديدة يمكن من خلالها تشخيص الوضع والوقوف عند أسبابه العميقة.

هذا الموضوع باعتباره ميدان اهتمام الكثير من المفكرين والباحثين الأكاديميين، كان ومازال يشكل مجالاً ثرياً للنقاش، ولا يزال اليوم يطرح نفسه بإلحاح بالرغم من استهلاكه بحثاً والاهتمام به في مختلف الحقول العلمية، وهو اليوم يطرح إشكالية حقيقية في الجزائر.

وفي الوقت الذي أصبح مجتمع المعرفة حقيقة تمتاز بها دول العالم المتقدم، بوصفه شكل جديد لتنظيم أوجه حياة المجتمعات المعاصرة، فلم يعد من خيار أمام الجزائر إلاّ سرعة الاستجابة لمتطلبات بناء مجتمع المعرفة واقتصاد المعرفة إذا أرادت أن توفر مقومات التنمية المستديمة والحفاظ على وجودها الفاعل والمؤثر.

ولما أصبحت المعرفة اليوم تشكل العنصر الفاعل في تغيير المجتمعات والتفتح على التجارب العالمية، كما أصبحت تأخذ مكاناً محورياً في اهتمامات المجتمعات المعاصرة، فلم تعد الأرض والموارد الطبيعية هي العامل الأساسي المحدد للقوة الاقتصادية كما كان الحال في المجتمعات الزراعية، ولا رأس المال اللازم لإنتاج السلع كما كان الحال في المجتمع الصناعي، وإنما أصبحت المعلومات والمعرفة تمثل عصب الحياة ومصدر الثروة والقوة، كون المعرفة والمعلومات غدتا طاقة الاقتصاد وقاعدة النهضة المستقبلية، وتحولت المعرفة إلى مورد متجدد لا ينضب، وهي المورد الذي لا يتناقص ولا يتآكل بالاستخدام، كما أنها لا تخضع لقانون "تناقص الغلة" كما هو الحال في الملكية المادية، حتى صار الملمح البارز لاقتصاديات الدول هو التحول من اقتصاد الصناعات إلى اقتصاد المعرفة.

وقد جاء الاهتمام بفئة الشباب على اعتبار أنهم الفئة التي تشكل محور التنمية والعنصر الأساسي في مفهومها الحديث، فعلى مستوى الخطاب السياسي نلاحظ الاهتمام بفئة الشباب على اعتبار أن هذه الشريحة هي الأكبر عددا في المجتمع الجزائري وهي الأكثر حساسية على المستوى السياسي من ناحية وضعها ومصيرها في المستقبل، كما نلاحظ على مستوى الأدبيات الأكاديمية كيف تتشابك الرؤى وتختلف الاتجاهات حول كيفية الاستفادة من طاقاتها ومؤهلاتها، ويكثر الحديث

عن النموذج الحضاري المناسب الذي يمكنه تغيير المجتمع وإخراجه من حالة التخلف إلى حالة التقدم.

وما دام هناك ارتباط متبادل بين المعرفة وشكل الوجود الاجتماعي، كما أن المعرفة لا يمكنها أن تبنى أو تكتسب إلاّ في مجتمع يتفاعل أفراده فيما بينهم باستخدام وسائل الإعلام والاتصال الحديثة، كونها مسألة اجتماعية لا يمكن أن تنفصل عن الواقع الاجتماعي بكل مكوناته؛ ومن منطلق أن المجتمع الذي لا يستطيع أن ينمي موارده البشرية، لن يستطيع أن ينمي أي شيء آخر فيه ولا يستطيع مواجهة ما يخبّئه المستقبل من تحديات، فإن هذا المقال يقترب من هذا الموضوع انطلاقا من البحث في قيمة المعرفة العلمية والتقنية عند فئة الشباب الجزائري ومكانتها من خلال المجالات والمواضيع التي يهتمون بها ويميلون إليها أثناء استخدامهم لتكنولوجيا الإعلام والاتصال.

أولاً: الإشكالية:

الإعلام والاتصال كان ولا يزال ميزة للمجتمعات الإنسانية فمنذ القدم يتواصل البشر بوسائط متعددة وعبر مختلف التقنيات، إلى أن وصل العالم في الآونة الأخيرة إلى ثورة في تكنولوجيا الإعلام والاتصال، بحيث أصبحت المعلومات والمعارف تنشر بسرعة كبيرة وبأقل تكلفة، نتيجة ما توفره هذه التقنية الحديثة من خدمات تواصلية أتاحت للفرد سرعة التواصل والحرية الكافية للدخول ضمن شبكة العلاقات في أي وقت ومن أي مكان في العالم.

وعلى هذا الأساس يزداد دور تكنولوجيا الإعلام والاتصال في صياغة الحاضر وتشكيل المستقبل، فمن جهة أصبحت وسائلها متطلباً أساسياً في شتى مجالات الحياة، لكن في الجزائر نجد أن النظر إلى استخدام هذه الوسائل يختلف بين متفائل ومتشائم، بين من يؤمن بأهميتها وبين من يمنعها ويحذر من انعكاساتها، فقد توفر هذه الوسائل متطلبات تغيّر المجتمع من حالة الركود والتخلف إلى حالة النشاط والتقدم، أو في أحوال أخرى يمكنها أن تقود المجتمع إلى حالة التفكك الاجتماعي من خلال تكريس التناقضات الموجودة في المجتمع مما قد يؤدي إلى تغيير غير مرغوب فيه.

وبناء عليه تم اختيار الوجهة البحثية نحو فئة الشباب وتمثّلاتهم لقيمة المعرفة من خلال البحث في مجالات استخدامهم لوسائل تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة ومكانة المعرفة العلمية والتقنية لديهم.

لكن ما يهمّنا في هذه الدراسة ليست الوسيلة في حد ذاتها، بل سنركز على الإنسان الذي يقود هذه الوسيلة والفكر الذي يغذيها ويحدد طبيعة محتواها، لذلك لم نركز في هذا المقال على بيان مدى مساهمة وسائل تكنولوجيا الإعلام والاتصال في اكتساب المعرفة، فالمحور الأساسي لموضوعنا هو

المساهمة التي يقدمها الشباب الجزائري ومدى قدرتهم على توظيف هذه الوسائل، ومدى وعيهم أنها مجرد أدوات ووسائل لا معنى لها إن لم تحمل في محتواها ما يساهم في تطوير المجتمع، أي أن تكنولوجيا الإعلام والاتصال ليست وسيلة حضارية محضة بل المستخدم هو من يعطيها بعدها الحضاري بإدماجها واستغلالها لاكتساب المعرفة وإنتاجها والاستثمار فيها.

بناء على ما تقدم ذكره، وفي الوقت الذي أصبحت فيه وسائل الإعلام والاتصال الحديثة ضرورة من ضروريات العصر، وما دامت المعرفة العلمية والتقنية هي التي تحمل في جوهرها عوامل تقدم المجتمع، فالحديث في هذا المقال سيكون حول تمثّلات الشباب الجزائري لقيمة المعرفة؟ والمجالات التي يستهلك فيها هؤلاء الشباب أوقاتهم وقدراتهم وطاقاتهم أثناء استخدامهم لوسائل تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة؟

ثانياً: الفرضيات:

أما الفرضيات التي نرى أنها تجيب على الإشكالية المطروحة هي:

قيمة المعرفة عند الشباب الجزائري تحكمها متطلبات الواقع الاجتماعي والاقتصادي، فالبيئة التي تغيب فيها قيم الجهد والإبداع والابتكار تجعل من الفرد الذي ينتمي إليها يتجه وفق رؤية عقلانية نحو مجالات بعيدة عن الاستثمار في مجال المعرفة، لذلك تبقى مجالات استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة عند الشباب الجزائري تقتصر فقط على إشباع حاجات تواصلية افتراضية بعيدة كل البعد عن مجالات اكتساب المعرفة وإنتاجها أو الاستثمار فيها.

ثالثاً: منهجية البحث وأسلوب التحليل السوسيولوجي:

تم الاعتماد على المنهج الكيفي وهو الأسلوب المناسب للظاهرة المدروسة، كما تم استخدام تقنيتي المقابلة والملاحظة لجمع البيانات، من خلال مقابلة أساتذة في التعليم الثانوي والجامعي بالإضافة إلى ملاحظة مجالات اهتمام الشباب الجزائري من خلال المجموعات الافتراضية عبر شبكة الفايسبوك، بحيث تم اختيار مجموعة افتراضية يتفاعل من خلالها فئة الشباب الجامعي الحاصل على شهادات عليا (ليسانس، ماستر، ماجستير ودكتوراه). وتسجيل كل ما يتعلق بأساليب التفكير ولغة التخاطب وكل الاتجاهات والاهتمامات وطبيعة المعلومات المتداولة في المجتمع الافتراضي.

رابعاً: مفاهيم الدراسة:

مفهوم الشباب:

لا يعتبر مفهوم الشباب معطى جاهزا وثابتا، ولا يشكل فئة متجانسة يتساوى أفرادها في مستوى التعليم والوضع الاجتماعي، إنما هو بناء اجتماعي يختلف من ثقافة إلى أخرى ومن بيئة اجتماعية إلى أخرى، بل ويختلف حتى داخل الثقافة الواحدة، حيث يعرف معجم العلوم الاجتماعية (youth) الشباب "بالأفراد الذين تتراوح أعمارهم بين الثامنة عشر والرابعة والعشرين، وتتميز هذه المرحلة بأنها مرحلة انتقالية إلى الرجولة أو الأمومة"[1]، كما يعرف بأنه: "فترة العمر التي تتميز بالفاعلية والنمو، يمر فيها الشباب بمراحل حيوية من النمو الذهني والاجتماعي والبدني"[2].

أما القاموس الانجليزي (Myriam–Webster) فيذكر أن الشباب (youth) هذه الصفة: "تدل على مرحلة من الحياة يكون فيها الإنسان حدثا، أو المرحلة بين الطفولة والرشد، أو بين المراهقة والنضج "[3] ، والقاموس الفرنسي (Dictionnaire de Sociologie) فيذكر أن كلمة شباب (jeunesse) تعني: "فترة الحياة التي تبدأ من الطفولة إلى مرحلة البلوغ وهو تعريف يتوافق مع مرحلة من التطور البدني والنفسي أكثر ممّا يتوافق مع الحالة الاجتماعية للشباب"[4].

وقد تعددت وجهات النظر حول تحديد مفهوم مفردة الشباب ومن بين هاته الاتجاهات ما يلي:

- **الاتجاه البيولوجي:** يرى أصحاب هذا الاتجاه أن مفهوم الشباب يتحدد على أساس اكتمال نمو البناء العضوي والوظيفي للمكونات الأساسية لجسم الإنسان.
- **الاتجاه النفسي:** المتخصصون في علم النفس يرون أن الشباب عبارة عن حالة نفسية تصاحب مرحلة عمرية يتميز فيها الفرد بالحيوية والنشاط الذهني والقدرة على التعلم والمرونة في العلاقات الإنسانية.
- **الاتجاه الاجتماعي:** يعتمد مفهوم الشباب لدى المختصين في علم الاجتماع على طبيعة واكتمال الدور الذي يقومون به، وتنتهي مرحلة الشباب عندما يتمكن الفرد من احتلال مكانته وأداء دوره في المجتمع.[5]

مفهوم المعرفة:(Knowledge)

من الصعوبة التوصل إلى تعريف جامع ومانع لمصطلح المعرفة لأسباب عديدة، منها ما يرجع إلى صعوبة التفرقة بين مفهومي "العلم" و"المعرفة" نتيجة لتداخل المفهومين، فيكون في أغلب

[1] الصالح مصلح، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع،*الشامل قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية*، الرياض، 1999، ص595
[2] مدين عمران التميمي،*الإعلام الجديد والشباب*، دار أمجد للنشر والتوزيع، المحرر، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، 2020، ص142
[3] *Youth. In The Merriam-Webster.com Dictionary*. (s.d.). Consulté le 12 17, 2019, sur https://www.merriam-webster.com: https://www.merriam-webster.com/dictionary
[4] Boudon, R., Besnard, P., Cherkaoui, M., & Lécuyer, B.-P. (2005). *Dictionnaire de Sociologie* (éd. Bethsabée Blumel, Janine Faure). Montréal , (Québec).p5
[5] مدين عمران التميمي، المرجع السابق، ص143

الاستعمالات مرادفاً لها، ذلك أن كلا منهما يدل على: إدراك صور الأشياء أو صفاتها أو علاماتها أو إدراك المعاني المجردة سواء كان لها وجود خارج الذهن أم لم يكن، وقد عُرّف العلم على أنه معناً من معاني المعرفة وهنا فان العلم يتعلق بمجال معين من المعرفة التي تم التوصل إليها عن طريق المنهج العلمي.

ومهما كان فإننا سنعرض بعض تعريفات المعرفة كما يلي:

عرف قاموس "أكسفورد" المعرفة (Knowledge) بأنها : (دراية مكتسبة بواسطة الخبرة، وهي ما يتاح للإنسان من معلومات، إضافة إلى أن الفهم النظري والتطبيقي لهذه المعلومات يمثلان في مجموعهما ما يعرفه هذا الشخص).

وتعرف أيضاً بأنها: مجموعة المعتقدات والأحكام والمفاهيم والأفكار والرؤى التي تكونت لدى شخص ما، نتيجة محاولاته المتكررة لفهم الظواهر والأشياء المحيطة به وتفسيرها، ومعنى ذلك أن المعرفة تمثل حصيلة خبرات ومعلومات مرّ بها الانسان ودراسة طويلة مكنت شخص ما في زمن معين من الوصول إليها وامتلاكها.[1]

ولأن مفهوم المعرفة يرتبط بمفهومين (البيانات والمعلومات) بحيث يشيع الخلط بين المعرفة والمعلومات نتيجة لعدم وضوح الحدود الفاصلة بينهما.

فالبيانات هي المادة الأولية التي تستخلص منها المعلومات، والمتمثلة في حقائق مجردة، وأرقام وحروف ورموز...الخ، أما المعلومات فهي ناتج معالجة البيانات تحليلاً أو تركيباً، جمعت مع بعض يمكن الاستفادة منها، أو المعنى الذي يضفيه الإنسان للبيانات بما يمكنه من القيام بسلوك ما، أو تسيير شؤون حياته.

في حين أن المعرفة هي القدرة على الاستنتاج وكيفية القيام بالأعمال والمهام سواء كانت في إدارة الأفراد أو في التنظيم أو في تشغيل الأجهزة والآلات واستخدام التقنيات المختلفة، ومن هنا تصبح المعرفة ملكية خاصة لمن يطورها ويبدع فيها ويوسع مجالات تطبيقها سواء كان شخصاً أو شركة أو مجتمعاً (والمعرفة بهذا المفهوم تأخذ بعد اقتصادي وتنموي).

[1] أحمد على الحاج محمد، اقتصاد المعرفة واتجاهات تطويره،ط1، دار المسيرة،عمان،2014م، ص77.

وهنا فالفرق بين "المعرفة" و"المعلومات" هو أن المعلومات وسيط لاكتساب معرفة جديدة، ضمن عدة آليات مثل الحدس والتخمين والممارسة...بعد المرور بعملية التعلم سواء كانت هذه المعلومات متواجدة في المصادر التقليدية أو الحديثة.

والمعرفة هي: "مجموعة المعلومات المحصل عليها الصحيحة والمقبولة، متضمنة معطيات، أفعال، معلومات وفي بعض الأحيان فرضيات، وهناك نوعان من المعارف المعرفة النظرية والمعرفة التطبيقية، وتعتمد المعرفة على الشخص الذي يستقبل تلك المعلومة أكثر من اعتمادها على مصدر تلك المعلومات"[1]

والمعرفة بذلك هي حصيلة التفاعل بين المعلومات والخبرة الشخصية للفرد، والمدركات الحسية، حيث تمزج المعلومات بما تدركه حواس الإنسان ومقارنتها بما في عقله ثم يعيد العقل تنظيمها وفق خطة خاصة به للتوصل إلى معرفة جديدة أو بناء التمثّلات التي تتشكل لدى الفرد من خلال التفاعل مع محيطه ومروره بمختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

وبناء على ما سبق ذكره نوجز مفهوم المعرفة في: الخبرات التي تكوّن الفكر وتوجه السلوك لاتخاذ موقف معين والقيام بعمل ما، وهي عبارة عن معلومات تم تنظيمها وتحليلها لفهمها وتوظيفها في اتخاذ القرارات أو في حل المشكلات، وهي مجموع الأفكار والأحكام والحقائق والمفاهيم والقيم والمبادئ التي يملكها الفرد أو المؤسسة أو المجتمع عن شيء ما للقيام بفعل ما، المستند إلى منظور فكري وإدراكي، ومهارات وقدرات شخصية لحل مشكل ما، وبهذا المعرفة تحمل سمات الابتكار والإبداع والتجديد.

مفهوم مجتمع المعرفة:

مجتمع المعرفة هو "المجتمع الذي يوظف قدرات ومهارات أفراده، وينتج المعرفة والمعلومات ويوظفها في مختلف أنشطة الحياة... إنه مجتمع العلماء والمبدعين والمهندسين والمفكرين وأصحاب المهارات العالية المستوى، الخالي من الأمية والجهل"[2].

[1] وسيلة حمداوي، إدارة الموارد البشرية، مديرية النشر لجامعة قالمة، 2004 ، ص2

[2] أحمد علي الحاج محمد، مرجع سابق، ص42 (بتصرف)

وهو ذلك المجتمع الذي ينتج المعرفة ويوظفها في مختلف أنشطة الحياة، وتتوفر فيه البيئة الثقافية التي تحترم من ينتج المعرفة ومحيط ثقافي يؤمن بالمعرفة وبدورها في تغيير المجتمعات.

وهذا ما يؤكده تقرير "اليونسكو" لعام 2005 (من مجتمع المعلومات إلى مجتمع المعرفة)، على سبيل المثال: أن المعرفة ضربت أطنابها في مختلف مناحي الحياة المعاصرة، وما برحت تتراكم بسرعة مذهلة، حاملة معها قلاعاً من الانجازات العلمية والتقنية التي أحدثت تحولات جذرية في طبيعة المجتمعات المعاصرة، حتى أضحت موضع رهانات اقتصادية وسياسية وثقافية واسعة.[1]

مفهوم القيم:

تعددت تعاريف القيم في الأدبيات الاجتماعية باختلاف مجالات اختصاصها، ومن بين التعريفات نذكر ما يلي:

يعرفها "تالكوت بارسونز" (parsons Talkott) بأنها: (عنصر في نسق رمزي مشترك يعتبر معياراً، أو مستوى للاختيار بين بدائل التوجيه التي توجد في الموقف) ويعرفها كذلك على أنها: (المعايير التي نحكم على كون الشيء مرغوب فيه أو غير مرغوب فيه).

ويعرفها "إيميل دوركايم" (E.Durkheim): (أن القيم هي إحدى آليات الضبط الاجتماعي المستقلة عن ذوات الأفراد الخارجة عن تجسداتهم الفردية).

ويعرف "حليم بركات" القيم بأنها: (المعتقدات حول الأمور والغايات وأشكال السلوك المفضلة لدى الناس، توجه مشاعرهم، وتفكيرهم، ومواقفهم، وتصرفاتهم، واختياراتهم...وتنظم علاقاتهم بالواقع والمؤسسات والآخرين وأنفسهم والزمان والمكان، وتسوغ مواقفهم وتحدد هويتهم ومعنى وجودهم، أي تتصل بنوعية السلوك المفضّل بمعنى الوُجود والغاية).[2]

وبشكل عام تمثل القيم الإطار المرجعي الذي يحكم سلوكات الفرد والجماعة ودورها يتمثل في تكوين هوية الفرد ونسقه المعرفي، وتعتبر القيم صورة المجتمع في عقول أفراده وهي الإطار المرجعي للفعل الاجتماعي الذي يشكل غايته ومعناه.

[1] نقلاً عن: أحمد علي الحاج محمد، اقتصاد المعرفة واتجاهات تطويره،ط1، دار المسيرة،عمان،2014م، ص157.

[2] نقلاً عن: روبة صوالح، قيم المواطنة في مناهج المواد الاجتماعية (تربية مدنية - تاريخ) للمرحلة الابتدائية، (دراسة تحليلية لمناهج السنة الرابعة والخامسة نموذجاً)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم النفس وعلوم التربية، الموسم الجامعي 2014 – 2015، ص20.

وتمثل القيم أهمية بالغة في بناء الفرد والمجتمع إذ تعمل على تشكيل هوية الفرد وتوجيهه في حياته وتحديد أهدافه في إطار معياري (صحيح)، كما تحدد القيم للأفراد اختياراتهم وتفضيلاتهم وميولهم نحو الأشياء، وهي تهدف إلى تعديل سلوك الفرد كما تساعد على التنبؤ به، وبهذا تسهل للأفراد حياتهم وتضمن الاستقرار والانسجام بين أنساق المجتمع.

ولقد طرح ماكس فيبر في كتابه (القيم البروتستنتية وروح الرأس مالية) فكرة تتناول عملية التغير الاجتماعي عن طريق تفسير سبب ظهور الرأس مالية وتطورها حيث ارجع السبب إلى القيم والأفكار والعقيدة الإيديولوجية التي يتبناها أفراد المجتمع والتي تعبر عن القيم الدينية (البروتستنتية)، بمعنى أنه ربط بين ظهور الرأسمالية الحديثة كنمط حياة عقلاني جديد بالتحول في الأفكار والقيم لدى أفراد المجتمع كمتغير أساسي ، حيث تتضمن البروتستنتية قيماً مثلاً حول أهمية العمل وعدم التبذير وعدم اكتناز الأموال... وهو ما أدى إلى تطوير اهتمامات الأفراد وأنماط سلوكهم نحو العمل والإنتاج الذي شجع بشكل مباشر على تطور النظام الرأس مالي وأدى إلى تغير النظام الاجتماعي.[1]

ونظراً لتشعب هذا المفهوم الذي يأخذ أبعاداً عميقة حسب تناوله في عدة مجالات، سنقتصر على الدلالة الإجرائية، ونستخدم مصطلح القيم في هذه الدراسة للتعبير عن كل ما يتمثّله الشباب من مبادئ توجه سلوكه وعلاقته مع الآخرين ومع الأشياء من حوله، وهي مجموعة من المعتقدات والتصورات التي يحدد من خلالها كل اهتماماته وميوله واختياراته في الحياة.

أما قيمة المعرفة فهي تمثل جملة الأفكار والتصورات والمفاهيم التي يحملها الشباب الجزائري حول المعرفة والغاية من اكتسابها.

مفهوم التمثّلات الاجتماعية:

يمكن تحديد مفهوم إجرائي للتمثّلات الاجتماعية على أساس عملية تفاعل ثقافة المجتمع ومؤسساته من جهة و الفرد كفاعل اجتماعي من جهة أخرى ، كدينامية تتم باستمرار بين الفرد والجماعة، ونستخدم هذا المفهوم للدلالة على مدركات الشاب التي تمثل كل ما استخلصه من معان ومفاهيم وقيم ومبادئ وكل الخبرات والتجارب والمعلومات التي تعلمها وكل ما اكتشفه من علاقات وما توصل إليه من نتائج وتعميمات وميول واختيارات؛ أي كل ما يملكه الشاب الجزائري من رأس

[1] ادريسي عامر، آليات اكتساب المعرفة وعلاقتها بالبناء الهويّاتي عند التلاميذ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة تلمسان الجزائر، 2019، ص86.

مال رمزي بالتعبير البورديوي ويتعلمه خلال عملية التنشئة الاجتماعية والتعليم، ويولد له مجموعة من الاستعدادات (Dispositions) تمكنه من ممارسة الأفعال المختلفة في الحياة.

حيث يقول "سيرج موسكوفيتشي" في هذا الصدد: (لا يمكن اعتبار التمثّلات انعكاساً صافياً للموضوع المدرك أو شكلاً من التفكير الملموس بل هي كل هذه الأشياء، كما أنها كذلك صناعة للموضوع ووسيط بين الفرد ومحيطه).[1]

مفهوم تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة:

كثيراً ما يستخدم مصطلح تكنولوجيا الإعلام والاتصال كمرادف لمصطلح تكنولوجيا المعلومات IT (Information technology) ولكن مصطلح ICT (information and communication technology) يختلف عنه فهو أكثر تحديدا لأنه يشدد على دور الاتصالات عبر (الأقمار الصناعية، الشبكات السلكية واللاسلكية، أجهزة الاتصال، أجهزة الكمبيوتر، وكذلك البرامج والأنظمة المعلوماتية Software، أجهزة التخزين والأنظمة السمعية والبصرية) التي تمكن من معالجة وتخزين ونقل وتداول المعلومات على شكل نصوص، صوتيات، صور، فيديو...

لكن قبل تحديد المعنى الاصطلاحي لمفهوم تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة سنحدد معنى التكنولوجيا.

أ- مفهوم التكنولوجيا:

التكنولوجيا والتي يعرفها البعض مستعملا كلمة (التقنية) كمرادف لها، هي مصطلح يوناني مركب من مقطعين (تكنو) وتعني الحرفة أو المهنة أو الفن و (لوغوس) أو (لوجيا) ويعني المعرفة أو العلم، لذا فإن الكلمة استعملت أساسا لتعني (علم المهنة)، ومع مرور الوقت تطور استعمال اللفظ وأصبح استعماله ينطوي على معان كثيرة منها: طريقة صنع الأشياء والقيام بعمل معين، علم الصناعة، وعلم الماكينات والآلات والمهمات العملية.

وهي كما يعرفها **عصمت عبد الله** "المعرفة والخبرات والمهارات الواجب توافرها لأداء عمل معين"[2]

ويعرفها "علي غربي" و"يمينة نزار" على أنها "مجموعة من الآلات والمعدات والتقنيات والمعارف العلمية والأفكار والوسائل التي يعتمد عليها الإنسان لتحقيق حاجياته في بيئة اجتماعية"[3]

[1] عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الهوية : جدليات الوعي والتفكك وإعادة البناء، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى 2017، ص115.

[2] عصمت عبد الله الشيخ، دور نظم تكنولوجيا المعلومات في تيسير وفاعلية العمل الاداري، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة،1998، ص 57.

[3] علي غربي ويمينة نزار، التكنولوجيا المستوردة وتنمية الثقافة العمالية بالمؤسسة الصناعية، مخبر علم الاجتماع الاتصال للبحث والترجمة، جامعة منتوري قسنطينة، 2002، ص18.

بمعنى أن التكنولوجيا لا تقتصر فقط على الآلات والمعدات التي يستعملها الإنسان، وإنما تشير إلى **المعارف والأفكار التي تمكن من استخدام هذه الآلات والمعدات**، وفي نفس الوقت هي نتاج اجتماعي، لأن التكنولوجيا قبل أن تكون آلة أو جهازاً معيناً فهي فكرة تولدت عن حاجة أو رغبة اجتماعية معينة.

ب- صياغة لمفهوم تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة:

إذا المقصود في هذا المقال بتكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة كل التقنيات والأدوات والوسائط والنظم المختلفة التي يتم توظيفها لمعالجة المضمون المعرفي أو المعلوماتي، وكل وسلية يتم من خلالها جمع المعارف والمعلومات والبيانات المسموعة أو المكتوبة أو المصورة أو المرسومة أو المرئية أو المطبوعة أو الرقمية ثم تخزين هذه المحتويات مع امكانية استرجاعها في الوقت المناسب ونقلها من مكان إلى آخر ومبادلتها.

ت- شبكات التواصل الاجتماعي:

الحديث عن شبكات التواصل الاجتماعي لم يكن منذ بروز الشبكة العنكبوتية "الانترنيت" ولا منذ بداية وانتشار الحواسيب ومعطياتها الرقمية لكنه انسجم بشكل كلي مع تطور منظومة الويب من المنظومة الكلاسيكية المعروفة بالويب 0.1 إلى المنظومة التفاعلية المعروفة بالويب 0.2 وهي أكثر تطورا والأقدر على فتح المساحات للتفاعل اللحظي المشترك.

وهي عبارة عن حلقات اجتماعية كما في الحياة اليومية، إنما الفرق أنها عبر الأنترنيت وهي تظم مواقع خاصة وعامة من كتابات وصور وأفلام ودردشات وتعارف...يتم من خلالها التفاعل بشكل مستمر وتلقائي...

كما تعرف بأنها مواقع الكترونية اكتسب صفة مواقع الشبكة الاجتماعية التي تجمع بين العديد من أدوات الانترنيت المختلفة وذات شعبية كبيرة وعلى سبيل المثال: الفايسبوك تعمل كأداة للاتصال الشخصي والتفاعل الذاتي مثله مثل ما يعرف بالبلوغ Blog يتيح خدمة الرسائل الفورية ...إلخ[1]

ث- مفهوم المجتمع الافتراضي:

شهد الإعلام التفاعلي مطلع الألفية الثالثة دينامية عالية وحركية غير مسبوقة، وأتاح خلق فضاءات جديدة للتواصل أصلح عليها "المجتمعات الافتراضية" والذي كان "هوارد رينجولد" أول من تحدث عنه في كتابه الموسوم ب:"المجتمع الافتراضي Virtuel community" والذي عرفه على أنه: (تجمعات اجتماعية تشكلت من أماكن متفرقة في أنحاء العالم يتقاربون ويتواصلون فيما بينهم عبر شاشات الكمبيوتر والبريد الالكتروني يتبادلون المعارف فيما بينهم ويكونون صداقات يجمع بين هؤلاء

[1] بدر الدين بن بلعباس، مقاربات اجتماعية للإعلام الرقمي الجديد الشبكات الاجتماعية ومسألة الهوية، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، 2019، ص 148

الأفراد اهتمام مشترك ويحدث بينهم ما يحدث في عالم الواقع من تفاعلات ولكن ليس عن قرب وتتم هذه التفاعلات عن طريق آلية اتصالية هي الانترنيت الذي بدوره ساهم في حركات التشكل الافتراضية)[1]

رابعاً: أفكار نظرية حول مفاهيم الدراسة:

فضلنا دراسة هذه الظاهرة على ضوء مجموعة من الأفكار النظرية إضافة إلى الملاحظات الميدانية، بغية الحصول على إطار تفسيري شامل، وللعمل وفق هذا المنهج سنقوم باستعراض المقاربات النظرية التي استندنا عليها في تحليل القضايا المتعلقة بالدراسة:

البنيوية التوليدية عند "بيار بورديو" (1930-2002) "Pierre Felix Bourdieu" :

بعد أن اطلع "بورديو" على الطروحات التي سبقته حول البنيوية، حاول صياغة نظرية بنيوية الصراعات الاجتماعية، هذه الصراعات التي ينبغي النظر إليها بعيداً عن المحتوى الماركسي التقليدي للصراع الطبقي، وتقوم هذه المقاربة النظرية على جملة من المفاهيم التي صاغها للتعامل مع الظواهر الاجتماعية ومن بين هذه المفاهيم نجد:

الهابيتوس Habitus:

يكاد يشكل هذا المفهوم جوهر نظرية "بيار بورديو" في البنيوية، ويعني باللغة العربية التطبع، أو السجية أو السمت.

واصطلاحاً "الهابيتوس" هو نظام من الاستعدادات الدائمة التي يمكن نقلها من جيل إلى جيل من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، التي تبدأ بالعائلة والمدرسة، حيث تترسّخ الأحكام والأفكار ليصبح الفرد بعدها في حياته نتاجاً ومحصلة لهذه الاستعدادات التي تشكل بنية معرفية مصدرها التجارب السابقة للفرد ومجتمعه.[2]

ويعرف "الهابيتوس" على أنه: مجموعة من الاستعدادات وصور السلوك التي يكتسبها الفرد من خلال التفاعل في المجتمع، إنه تعبير عن مواقف يتم فيها استدماج الخارجي المجتمعي في الفرد، والتجسيد الخارجي لذاتية ذلك الفرد، فهو يميز أفراد مجتمع معين من كل مجتمع آخر، وبحسب "بورديو" يمكن دمج الهابيتوس مع (الشخصية الأساسية) أو مع (الهوية الثقافية)، لأنه يتكون من أنساق تشكل استعدادات دائمة يمكن نقلها، فهو يعمل كتجسيد للذاكرة الجماعية التي يعاد إنتاجها عند وارثي ما هو مكتسب من الجيل السابق، فهو مستبطن في الضمائر الفردية، ويحمل الدلالات الكاشفة

[1] نقلاً عن بدر الدين بن بلعباس، مقاربات اجتماعية للإعلام الرقمي الجديد الشبكات الاجتماعية ومسألة الهوية، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، 2019، ص 145

[2] غسان خالد، الهابيتوس العربي: قراءة سوسيو معرفية في القيم والمفاهيم، منتدى المعارف، ط1، بيروت، 2015، ص11.

على ما يمكن أن تكون عليه ممارسات الفاعل الاجتماعي وطموحاته، ففيه تتجمع بمعزل عن الوعي كل (ترسيمات الإدراك والفكر والعمل).[1]

ويميز "بورديو" بين الهابيتوس الفردي والهابيتوس الجماعي، ويرى أنه ثمة اختلاف بينهما، فيمكن للجماعات أن يعيشوا التجربة نفسها أو يكونوا قد عاشوها.[2]

الممارسة الاجتماعية عند "بورديو" ليست مجرد فعل صادر في الزمن الحاضر، ولكنها فعل موجه من الماضي، فعل تاريخي.

فالممارسة هي حصيلة خبرات مكتسبة أو موروثة، وهي نشاط إنساني يقوم به الفاعل (Agent)، يمتلك قدرة على صنع الاختلاف، لذلك فإن الفاعل عند "بورديو" هو شخص محمل بخبرات متراكمة، رأس مال رمزي يكتسبه خلال عملية التنشئة الاجتماعية والتعليم، يولد له مجموعة من الاستعدادات (Dispositions) تمكنه من ممارسة الأفعال المختلفة في إطار بنية محددة، وبشكل تلقائي ولا إرادي في معظم الأحيان.

"الهابيتوس" يشتغل كعامل مولد ومنظم لممارسات الفرد، بحيث يجعله يفكر، ويقدر، ويفضل، ويتصرف، ويقرر، ويتكلم، ويلبس بطريقة معينة، ينسجم ويتلاءم مع الظروف الموضوعية للحقل الاجتماعي الذي ينتمي إليه، فالهابيتوس يمثل استيعاب للخارجي في الذات، واستدماج للمجتمع في الفرد، إنه بحسب تعبير بورديو يعمل في سياقه التاريخي المنفصل عن الفرد، إنه جاهز ليعمل (كبنية بانية structurante Structure) من خلال ما ينتجه في الممارسة الفردية المميزة للفرد في سياق التجارب المتنوعة التي يمر بها في حياته.[3]

إعادة الإنتاج:

إعادة الإنتاج مصطلح من المصطلحات الأساسية في نظرية "بيار بورديو"، أين تساءل عن الشروط المولدة لعمليات التكرار، لتفسير ذلك أدخل عدة مفاهيم مثل الهابيتوس، العنف الرمزي والرأس مال الثقافي(الرمزي) في استراتيجية إعادة الإنتاج.

فنستنبط من مفهوم الهابيتوس، الدور الذي يلعبه في تحديد أنماط السلوك والتفكير من خلال استبطان تجارب الماضي والحاضر، بوصفه منهجية ذات محتوى ثقافي وظيفتها إعادة إنتاج نفس الأوضاع وتكريسها، فالفرد يعمل بالتأثير الخارجي والآخرين والتأثير فيهم.

ومصطلح الرأس مال الثقافي (Capital culturel) بوصفه رأس مال رمزي مقابل رأس مال الاقتصادي عند "كارل ماركس"، بمعنى أن التمايز الاجتماعي لا يقع بالضرورة فقط في نطاق الرأس مال الاقتصادي بوصفه مفهوم مادي كمدى حيوي، بل يمكن رؤيته في نطاق الرأس مال الثقافي

[1] عبد الغني عماد، مرجع سابق، ص134.
[2] غسان خالد، الهابيتوس العربي: مرجع سابق، ص10.
[3] عبد الغني عماد، مرجع سابق، ص134.

(الهابيتوس) الذي يسعى إلى تكريس التمايز وإعادة إنتاج الطبقات لا شعورياً، لهذا فهو يتسم بالعنف الرمزي تماماً مثل ما هو الرأس مال الاقتصادي الذي يتسم هو الآخر بعنف مادي.[1]

وبحسب "بورديو" في إطار تحديده للرأس مال الاجتماعي، يرى أن الرأس مال الرمزي يتمثل في أشكال تتمظهر في السمعة والصيت والوجاهة والموهبة والمرتبطة دائماً بالآخر.[2]

الحقل الاجتماعي:

هو عند "بورديو" يشير إلى العلاقات الموضوعية التي تربط جماعة من الأفراد المنتمين إلى نفس النشاط الاجتماعي.[3]

يرجع استخدام كلمة حقل في فكر "بورديو" إلى استعارته لهذا المصطلح من الاستعمال العادي الذي يفيد قطعة ارض قد تكون كبيرة أو صغيرة، ولكن بورديو أحاله إلى مفهوم علمي للدلالة على عالم اجتماعي كامل وبكل المواصفات التي يشير إليها العالم الاجتماعي من سلطة وعلاقات وقوة وصراعات واستراتيجية للمحافظة على المجتمع.[4]

فالحقول هي عبارة عن فضاءات اجتماعية أساسها نشاط معين، مثلاً: التربية، الصحافة، كرة القدم...إلخ يتنافس فيها الفاعلون لاحتلال مواقع السيطرة، وعلى غرار التصور الماركسي، يبدو العالم الاجتماعي عند بورديو ذو طبيعة تنازعية.

فنحن أمام مجموعة من الحقول: اجتماعية، دينية، سياسية، ثقافية، اقتصادية، تربوية، لكل حقل هابيتوس الخاص، تعمل هذه الهابيتوسات بشكل منظم فيما بينها لتنتج حقلاً عاماً.

ونظراً لأهمية مفهوم التمثّلات الاجتماعية سنستعمله لمقاربة موضوع دراستنا بناء على الأفكار التي صاغها "**سيرج موسكوفيشي**".

1- نظرية التمثّلات الاجتماعية عند "سيرج موسكوفيشي":

قام "موسكوفيشي" بتعميق المقاربة الدوركايمية باتجاه نظرية التمثلات الاجتماعية، وبالنسبة إليه فإن التمثلاتالإجتماعية تضم المعارف والمعتقدات والآراء والقيم الاجتماعية والأخلاقية والثقافية، وهي تشكل وحدة كلية يصعب تفكيكها أو تجزئتها، وبالتالي يصعب إحالتها لمواقف ذاتية وفردية محضة، كما هو الشأن في الطرح السيكولوجي أو مواقف اجتماعية صرفة مثل التوجه "الدوركايمي".

وعليه فإن الفرد بصفته فاعلاً اجتماعياً ليس مجرد متلقّ آلي أو كائن مسيّر من طرف المجتمع أو الضمير الجمعي كما قد يوحي به تعريف "دوركايم"، إنما هناك نوعاً من الاستقلالية النسبية في

[1] نذير زريبي، الوجيز في علم الاجتماع (نظريات اجتماعية)، منشورات ليجوند، الجزائر، 2013، ص192.

[2] Pierre Bourdieu, Le Capital social, Notes Provesoires, Acte de la recherche en sciences sociales, Vol31, Janvier 1980, p2.

[3] Pierre Bourdieu, Le Capital social, Notes Provesoires, Acte de la recherche en sciences sociales, Vol31, Janvier 1980, pp2-3.

[4] نذير زريبي، مرجع سابق، ص197.

الحكم على الأشياء يبقى موجوداً في اتخاذ موقف حيال الوضعية التي يوجد فيها الفاعل الاجتماعي. فتمثّلاته تجاه الوقائع الاجتماعية والأحداث الواقعية التي يفرزها الواقع الاجتماعي، واتجاه المنظومة المعرفية السائدة، سواء من طرف المؤسسة المدرسية، أو من طرف وسائل الإعلام وباقي مؤسسات التنشئة الاجتماعية الرسمية، يتحكم فيها من جهة بيئته الاجتماعية والثقافية، ومن جهة أخرى آراءه وخياراته وتأويله، وهذا حسب رأي "سيرج موسكوفيشي".[1]

وتلتقي وجهة النظر هذه مع تحليلات "بيار بورديو" حول مفهوم (الهابيتوس) وميكانيزمات اشتغاله، ذلك لأن التمثل كتصور وكآراء وأفكار يتشكل ويتغير حسب السياقات والوضعيات الاجتماعية المؤثرة ويستجيب لأربع وظائف هي:

الوظيفة المعرفية: فهي تسمح للأفراد بفهم وتفسير الواقع، بإدماجه في قالب قابل للاستيعاب ومنسجم مع القيم والأفكار والآراء التي يؤمنون بها، كما تسهل التواصل الاجتماعي بتحديدها إطاراً مرجعياً مشتركاً بتبادل المعرفة ونقلها ونشرها.

وظيفة هوياتية: تسهم في التعريف بهوية الجماعة وتجعل الحفاظ على خصوصيتها.

وظيفة توجيهية: توجيه السلوك والممارسات، وتوجيه الانطباعات وتقييمها وهي محدد للسلوك وبالتالي تلعب دور المعايير لأنها تعكس القواعد الاجتماعية وتصور السلوكيات اللازمة.

وظيفة التبرير: تسمح بالتبرير البعدي(Posteriori) للسلوك والمواقف التي يتبناها الأفراد وتساهم في تحديد السلوك قبل القيام به وتبريره بعد ذلك.

خامساً: مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأولية ودروها في بلورة قيمة المعرفة عند الشباب الجزائري:

الهدف من وراء هذه الدراسة ليس التنظير للمعرفة أو التكنولوجيا الحديثة كمفهومين منعزلين عن الواقع، وإنما البحث في تفاعلهما في إطار البيئة السوسيو–ثقافية التي كان لها تأثير مباشر أو غير مباشر على تشكيل اتجاهات الشباب واهتماماتهم وميولهم وكل تمثلاتهم.

فالوعي بقيمة المعرفة لا يأتي من خارج سياق البيئة التي يعيش فيها الفرد، وبناء تمثلاته حول الأشياء يكتسب المعنى والمضمون كتجربة إنسانية خاضعة لصيرورة الحياة، إذ ينبع السلوك الانساني من القيم التي تنشأ بدورها عن التصور والمعتقد والفكر الذي يكتسبه عبر عملية التنشئة الاجتماعية، فتفكير الانسان حول المواقف والأشياء التي تدور حوله وبناء تصوراته عنها يشكل تمثلاته حول الأشياء وأهدافه في الحياة.

فهؤلاء الشباب لا يعيشون منعزلين عن محيطهم الاجتماعي وليسوا فارغين ثقافياً بل محملين بإرث كبير يصعب التحكم فيه يتمثل فيما يتعلمونه في المجتمع الكبير وما يعتقدونه من أفكار

[1] المرجع نفسه، ص115.

مشتركة متعلقة بطبيعته البيئة السوسيوثقافية والحياة الاجتماعية، وكل ذلك يمر عبر أشكال التنشئة الاجتماعية المختلفة.

والمعرفة تحتاج دائماً إلى مؤسسات حاضنة كما تحتاج إلى إطار تفاعلي بين مختلف مؤسسات المجتمع كي تتحول إلى قوة تغيير حقيقية، لذلك سوف نعرج فيما يلي على دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأولية ودروها في بلورة قيمة المعرفة عند الشباب الجزائري.

أ- الوعي بقيمة المعرفة عند الشباب في مرحلة التنشئة المدرسية:

في هذا العنصر سنخصص الحديث عن دور المدرسة الجزائرية باعتبارها من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي يكتسب فيها الشاب الأساس المعرفية الأولية، وفيها يتم اكتساب كل الصور والأفكار والمعلومات التي تشكل تمثلاته عن المعرفة وقيمتها في مرحلة عمرية مبكرة، وهي البيئة التي يحدد فيها أهم تفضيلاته واتجاهاته ومعالم هويته الأولية.

فمن الناحية النظرية وعلى مستوى الأهداف النظام التربوي المعلن عنها، نلاحظ ذلك الاهتمام الذي توليه وزارة التربية الوطنية لتطوير أساليب التعليم عن طريق إدماج الوسائل التكنولوجية الحديثة في التعليم ورقمنة النظام التربوي، ويظهر ذلك من خلال ما ورد في النصوص التشريعية التي صدرت في السنوات الأخيرة، حيث ورد في الإصلاح المنصوص عليه في القانون التوجيهي للتربية الوطنية الذي صدر سنة 2008، التركيز على استهداف تحقيق النوعية في التعليم والسعي لإدراج التكنولوجيات الحديثة في التعليم والنظر إليها على أنها خياراً استراتيجياً في مشروع المدرسة الجزائرية.[1]

فعلى مستوى الخطاب نجد التركيز على أهمية تكنولوجيات الأعلام والاتصال كآلية من آليات اكتساب المعرفة، وهو ما يلاحظ على مستوى الخطة الرئيسية المطروحة منذ جويلية 2002 في البرنامج الحكومي ضمن محاور إصلاح المنظومة التربوية نلاحظ الفقرة التي وردت كما يلي: "إدخال التكنولوجيات الحديثة للمعلومات والاتصال في المنظومة التربوية بغية تسهيل دخول بلادنا في مجتمع الإعلام والحضارة العلمية والتقنية في إطار العولمة".[2]

لكن كل ذلك لا نجد له أي أثر على مستوى التطبيق، فلم يترجم هذا الخطاب على مستوى البيئة المدرسية كممارسات حقيقية، ولا يعتمد على هذه الوسيلة في عملية التعليم بشكل واسع ماعدا توفير الحواسيب الموجود على مستوى مخابر الإعلام الآلي، وهذا العتاد لا يستغل في عملية التدريس كما هو منصوص عليه في القوانين والأهداف التربوية.

[1] القانون التوجيهي للتربية الوطنية رقم 04 – 08 المؤرخ في 23 جانفي 2008.

[2] ملف تكنولوجيا الإعلام والاتصال في خدمة التربية، مجلة بحث وتربية، المعهد الوطني للبحث في التربية، العدد02، الجزائر، 2011،ص8

كما يؤكد المهتمون بالمجال البيداغوجي أن آليات اكتساب المعرفة في مؤسسات التعليم الجزائرية تحتاج إلى إعادة النظر لأنها تشتغل بطريقة غير فعالة وغير ناجعة مادامت لا تعتمد في مجال اكتساب المعرفة على استخدام وسائل تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة، كما أن المعرفة المكتسبة لدى المتعلمين يتم تداولها في نسق مغلق (المدرسة فقط) ولا علاقة لها بالمحيط الخارجي و كل مجالات الحياة العملية، ويضاف إلى ذلك أنه في نهاية المراحل التعليمية يعاني خريجي المدرسة الجزائرية من حالة الاغتراب نظراً لعدم ارتباط ما يتعلمونه في المدرسة بمتطلبات التعليم العالي خاصة التخصصات العلمية والتكنولوجية التي تتطلب كفاءات لغوية والقدرة على الفهم والتحليل والتركيب.

والنتيجة أنه في ظل هذه الظروف لا يدرك الشاب الجزائري منذ مرحلة التمدرس قيمة المعرفة الحقيقية.

ب- قيمة المعرفة عند الشباب في مرحلة التعليم الجامعي:

من خلال المقابلات مع بعض الأساتذة الجامعيين حول طبيعة البحوث العلمية المقدمة من طرف الطلبة ومدى اعتمادهم على تكنولوجيا الاعلام والاتصال في هذا المجال، تبين أن الطلبة في هذا المجال يعتمدون على إعادة استنساخ ونشر المعرفة الجاهزة المنتجة والمنقولة عبر الوسائط والشبكات الرقمية واستهلاكها دون الاستفادة منها في إنتاج معرفة جديدة، في حين يتوقف استخدام تكنولوجيا الاعلم والاتصال بالدرجة الأولى على كفاءة المستخدم في مجال المعرفة إذ لا جدوى منها إن لم يوظفها بأساليب مبتكرة.

لكن الأمر أعمق من مجرد استخدام نموذجاً جاهزاً للاستهلاك، لأنه من أهم شروط الاستفادة من المعرفة العلمية أنها لا تقوم على النقل والتقليد بل تقوم على الخلق والإبداع والاعتماد على الذات، فبهذه الطريقة يبقى الطالب الجامعي كمستهلك للمعرفة والمعلومات بتكرار تقديمها في قوالب جامدة لا وظيفة لها في الحياة.

والمعرفة المكتسبة عند الطلبة يغلب عليها الطابع النظري فهم لا يهتمون بالجوانب التطبيقية التي تتطلب المعرفة التقنية فقلما يتوجه الاهتمام إليها وهنا نسجل ظاهرة عدم ربط الفكر بالعمل، كما أن الجامعة وفق هذا المنهج تهتم بالكم على حساب الكيف، فهي تنتج متعلمين يحملون شهادات لكنهم لا يملكون القدرة على توظيف ما تعلموه في الحياة.

والنتيجة أن الجامعة الجزائرية وفق هذه المنهجية تبقى معزولة عن محيطها الخارجي ولا تساهم في توفير متطلبات التنمية الحديثة، ومخرجاتها لا تساهم في الفعل الحضاري وإرساء مقومات مجتمع المعرفة.

إذاً يعيش الشاب الجزائري في هذه المرحلة المهمة من حياته وهو معزولاً عمّا توفره التكنولوجيا من خدمات في مجال المعرفة، ولا تتوفر لديه قنوات الاتصال مع متطلبات الحياة العصرية، نظراً لغياب التنسيق الحقيقي بين الحقل الجامعي والحقول الاجتماعية الأخرى، واتساع الفجوة بين المعرفة المكتسبة ومجالات توظيفها في الحياة أي عدم وجود الغاية من المعرفة في حد ذاتها.

سادساً: قيمة المعرفة من خلال تفاعل الشباب في المجتمع الافتراضي:

تشير الدراسات السابقة مجالات اهتمام الشباب الجزائري ترتكز في أغلبها على استخدام شبكات التواصل الاجتماعي الافتراضية والإدمان عليها، ويدور الحديث عن انتساب حوالي عشرين (20) مليون جزائري لموقع الفايسبوك، حيث يعبر فيها الجزائري حسب تعبير الأستاذ "نور الدين بكيس" عن كل شيء، فيطرح مشاكله الأسرية والعاطفية، المهنية، الجوارية، المسجدية، المدرسية، الجامعية، السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية متجاوزا الأسرار العائلية والزوجية،[1]

والمجتمع الجزائري يرتبط بصفة عامة بالقيم التقليدية التي غالباً ما يكون مصدرها العادات والتقاليد أو طبيعة التدين الذي يشكل الجانب الأساسي للحياة الاجتماعية والذي نجده متجذراً كمخزون ثقافي، فالفاعل لا يمكنه الانخراط في العمل والإنتاج بشكل فعال إلاّ من خلال منظومة الإدراك والاستعدادات والتصورات المكتسبة والتي أطلق عليها بورديو "الهابيتوس Habitus" والتي يكتسبها الفاعل ويتم بناؤها في الحقل الاجتماعي والتي تشكل (القواعد المولدة للممارسات)، والتي تمثل رأس ماله الخاص من المعتقدات والخبرات والمهارات التي تمكنه من الاندماج في الحقل الاجتماعي.

والممارسة الاجتماعية عند "بيار بورديو" ليست مجرد فعل صادر في الزمن الحاضر، ولكنها فعل موجه من الماضي، فعل تاريخي، فالممارسة هي حصيلة خبرات مكتسبة أو موروثة، وهي نشاط إنساني يقوم به الفاعل (Agent)[2].

وفي هذا الصدد يرى بارسونز أن المجتمع عندما يتعرض لحالة التغير، فإنه لا يفقد خاصية توازنه فهذا التوازن دينامي ومستمر، لذلك يمكن للمجتمع دائماً أن يتكيف مع التغيرات الجديدة ويدمجها داخل بنائه.[3]

وللحديث عن القيم السائدة في المجتمع الافتراضي بصفة عامة سنركز على لغة التواصل ومجالات اهتمام الشباب.

انطلاقاً من لغة التواصل عبر شبكة التواصل الاجتماعي بين الشباب المتحصل على شهادات عليا (ليسانس، ماجستير، دكتوراه)، فالشيء الذي يدعو إلى الانتباه هو تلك الطريقة التي يتواصل بها

[1] نور الدين بكيس، و نوال رزقي، *كيف تصبح مواطنا سيئا في الجزائر، 15 سبب معطّل للمواطنة بالجزائر*، سارة للنشر،الجزائر، 2018، ص225

[2] إدريسي عامر، مرجع سابق ، ص17.

[3] منال محمد عباس، القيم الاجتماعية في عالم متغير، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2016، ص 68.

الشباب على مستوى العبارات والجمل المستخدمة، فمن جهة هناك صعوبة في تنظيم جمل مترابطة عند الشباب توضح أفكارهم وتشرح مقاصدهم، إذ نلاحظ أثناء حديثهم تتزاحم لديهم العبارات العربية الفصحى بالعبارات العامية التي توظف فيها عبارات فرنسية بأسلوب هجين، وفي غالب الأحيان تنطق هذه العبارات بصيغة غير صحيحة، فالشباب الجزائري لا يمكنه التعبير بلغة صافية.

التفاعل اللغوي في المجتمع الافتراضي تغلب عليه الاستعمالات اللغوية الهجينة، وهذا الأمر ليس محصوراً فقط على مستوى المجموعة بل نجده أيضاً في في المجتمع الحقيقي من خلال أحاديث كل أفراد المجتمع الجزائري، أين يختلط اللفظ العربي باللفظ الفرنسي والعامي وشكل هذا الخليط لغة هجينة لا هي عربية ولا هي فرنسية ولا تزال هذه اللغة سائدة في واقعنا اليومي ليس عند الشباب فحسب بل عند شرائح واسعة من أفراد المجتمع.

فمن المفترض أن وسائل الإعلام والاتصال الحديثة تلعب دوراً هاما في تطور المجتمعات، لكنها في الجزائر توظف في إعادة إنتاج حالة التخلف والركود، فمجالات استخدامها لا تركز على المعرفة العلمية والتقنية كميدان للاهتمام، بل توظف لاستهلاك الوقت والمال في مجالات مثل الدردشة والتعارف ...لإشباع حاجات تواصلية افتراضية بعيدة كل البعد عن مجالات اكتساب المعرفة وإنتاجها.

ومن خلال ملاحظة التفاعل الافتراضي بين الشباب عبر مواقع التواصل الاجتماعية، نجده لا يخلو من تفاصيل الحياة الكلاسيكية للمجتمع الجزائري ولا تخرج عن الأطر الفكرية والثقافية للمجتمع الحقيقي، إذ نلاحظ تلك الصراعات الأيديولوجية والنّعرات الجهوية بين الشباب في الواقع موجودة أيضاً عبر مواقع التواصل الافتراضية.

وبهذا عوض أنتساهم هذه الوسيلة الحديثة في تطوير المجتمع أصبحت توظف في توطين حالة التفكك والصراع الأيديولوجي، وتستخدم كوسيلة لانتشار القيم المتصارعة بين أطياف المجتمع، فضلا عن ذلك تبني الشباب لأفكار غريبة عن قيمهم الأصيلة، واكتسابهم لثقافة هجينة لا هي محافظة تحمل القيم الأصلية للمجتمع ولا هي عصرية تحترم القواعد الأخلاقية الضابطة للسلوك العام.

وهو ما يفسر لنا الخلل الموجود على المجتمعومؤسساته التي تحاول أن تفرض منطقها وقيمها التقليدية نحو المعرفة، وبالتالي غياب الدافع عند الشباب الجزائري نحو المعرفة وأهميتها في الحياة، وغياب المعرفة في حد ذاتها على مستوى مجالات استخدام الشباب لوسائل تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة التي تقتصر فقط على شبكات التواصل الافتراضية لغاية إشباع حاجات لا علاقة لها بالمعرفة.

خاتمة:

الحقائق التي وقفت عندها هذه الدراسة تدل على أن قيمة المعرفة عند الشباب الجزائري تتشكل ضمن مسار معقد، وهي مرتبطة بتمثّلات الأفراد (Representations)، وفي نفس الوقت هي حصيلة لتفاعلات هؤلاء الأفراد مع الثقافة المنتشرة في المجتمع، فتمثلات الشباب حول قيمة المعرفة وكل الأشياء المحيطة بهم تبنى ويعاد بناؤها وفق العوامل المشتركة بين مختلف التنظيمات الاجتماعية وترتبط أيضاً بالموروث الثقافي ورأس المال الرمزي، فهؤلاء الشباب لا يعيشون منعزلين عن محيطهم الاجتماعي وليسوا فارغين ثقافياً بل محملين بإرث كبير يصعب التحكم فيه يتمثل في ما يتعلمه الفرد من خلال مروره بمختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية وما يعتقده من أفكار مشتركة متعلقة بقيمة المعرفة والغاية منها، فمهما كان مستوى استقلالية فئة الشباب فإنها تظل غير قادرة على تجاوز ثقافة المجتمع.

ومن خلال البحث في هذا الموضوع تبين أن المؤسسات المسؤولة عن التنشئة المعرفية في الجزائر تعمل علىتغييب ثقافة الإبداع والابتكار عند الشباب في مرحلة عمرية مبكرة، كما أن رأس المال المعرفي الذي يتلقاه المتعلم في هذه المؤسسات يدور ويتداول في نظام مغلق (المدرسة أو الجامعة فقط)، ينتج ويراكم ويتداول فقط داخل الحقل الواحد منعزل عن الحقول الأخرى في المجتمع، كما لا يوجد أي مؤشر يدل على ربط المعرفة كرأس مال أساسي بالمجال الاقتصادي أو سوق العمل، بالرغم من حاجته الملّحة للموارد البشرية المؤهلة في وقتنا الراهن.

بالإضافة إلى عدم إدراج مؤسستي الجامعة والمدرسة لوسائل تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة كآلية من آليات اكتساب المعرفة، فلا يوجد أي اعتبار لربط هذه الوسيلة كأداة فعالة وما توفره من خدمات في مجال اكتساب المعرفة.

وبالتالي فإن عدم وجود الغاية من المعرفة وهو ما يحول دون استفادة الشباب الجزائري من الخدمات التي توفرها تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة في مجال اكتساب المعرفة وإنتاجها والاستثمار فيها.

ومن جهة أخرى، فإن التكنولوجيا لا تشتمل فقط على العتاد والتجهيزات المستوردة، كما أنها لا تقتصر فقط على الجانب المادي لوحده، بل تحتوي على موضوعات التنظيم والتخطيط وممارسة القيادة الرشيدة في شتى مؤسسات المجتمع، كما أنها نتاج اجتماعي وثقافي يشمل الأفكار والمعتقدات والسلوكات وجميع المبادئ والقيم المناسبة، لأن التكنولوجيا قبل أن تكون آلة أو جهازاً معيناً فهي فكرة تولدت عن حاجة أو مصلحة معينة في مجتمعها الأصلي الذي أنتجت فيه.

المراجع باللغة العربية:

- أحمد على الحاج محمد، اقتصاد المعرفة واتجاهات تطويره، ط1، دار المسيرة، عمان،2014.

- الصالح مصلح، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، *الشامل قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية*، الرياض، 1999.

- ادريسي عامر، آليات اكتساب المعرفة وعلاقتها بالبناء الهوياتي عند التلاميذ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة تلمسان، الجزائر، 2019.

- بدر الدين بن بلعباس، مقاربات اجتماعية للإعلام الرقمي الجديد الشبكات الاجتماعية ومسألة الهوية، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، 2019.

- عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الهوية: جدليات الوعي والتفكك وإعادة البناء، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى 2017.

- منال محمد عباس، القيم الاجتماعية في عالم متغير، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2016.

- روبة صوالح، قيم المواطنة في مناهج المواد الاجتماعية (تربية مدنية –تاريخ) للمرحلة الابتدائية، (دراسة تحليلية لمناهج السنة الرابعة والخامسة نموذجاً)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم النفس وعلوم التربية، الموسم الجامعي 2014 – 2015.

- مدين عمران التميمي، الإعلام الجديد والشباب، دار أمجد للنشر والتوزيع، المحرر، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، 2020.

- وسيلة حمداوي، إدارة الموارد البشرية، مديرية النشر لجامعة قالمة،2004 .

- عصمت عبد الله الشيخ، دور نظم تكنولوجيا المعلومات في تيسير وفاعلية العمل الإداري، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة،1998.

- علي غربي ويمينة نزار، التكنولوجيا المستوردة وتنمية الثقافة العمالية بالمؤسسة الصناعية، مخبر علم الاجتماع الاتصال للبحث والترجمة، جامعة منتوري قسنطينة، 2002.

- نور الدين بكيس، و نوال رزقي، كيف تصبح مواطنا سيئا في الجزائر، 15 سبب معطّل للمواطنة بالجزائر، سارة للنشر،الجزائر، 2018.

- غسان خالد، الهابيتوس العربي: قراءة سوسيو–معرفية في القيم والمفاهيم، منتدى المعارف، ط1، بيروت، 2015.

- نذير زريبي، الوجيز في علم الاجتماع(نظريات اجتماعية)، منشورات ليجوند، الجزائر، 2013.
- وزارة التربية الوطنية، القانون التوجيهي للتربية الوطنية رقم 04 – 08 المؤرخ في 23 جانفي 2008.
- مجلة بحث وتربية، ملف تكنولوجيا الإعلام والاتصال في خدمة التربية، المعهد الوطني للبحث في التربية، العدد02، الجزائر، 2011.

المراجع باللغة الأجنبية:

- Boudon, R., Besnard, P., Cherkaoui, M., & Lécuyer, B.-P. (2005). *Dictionnaire de Sociologie* (éd. Bethsabée Blumel, Janine Faure). Montréal , (Québec).p5
- Pierre Bourdieu, Le Capital social, Notes Provesoires, Acte de la recherche en sciences sociales, Vol31, Janvier 1980, p2.
- *Youth. In The Merriam-Webster.com Dictionary*. (s.d.). Consulté le 12 17, 2019, sur https://www.merriam-webster.com: https://www.merriam-webster.com/dictionary